سعدون ...

قصة بقلم عايدة سلمان

كم ورقة بعت اليوم ؟

ـ هه

ـ اليوم ، كم ورقة بعت ؟

ـ ولا واحدة !!

ـ وتبقى ساكتا يا ابله ؟؟ اسمع يا سعدون ، اتعرف ماذا ينادي الباعة الاذكياء ؟

ـ ماذا ؟

ـ بلش السحب .. بلش ..

ـ محمود ... اليوم الاثنين ، السبت السحب

ـ ما همك انت .. هيا ناد ...

ـ بلش السحب ... بلش .

ـ اعلى ... اعلى يا سعدون ... ثم بخمسين الف .. خمسين الف بخمس ليرات ...

ولكن سعدون لا يفتح فمه هذه المرة ، عيناه تتقلبان الى جدارين ابلهين تنصب عليهما شفقة محمود بائع العلكة وسخطه ،

ـ ما بالك ؟؟ مالك ساكتا ؟؟

ـ محمود ... كم ساعتك ؟؟

ـ الخامسة والنصف !!

وبسرعة ينزلق الجداران الابلهان ناحية الشارع المزدحم يفتشان بأسى وذهول عن شيء ما بين المارة ... بين السيارات ، ويسمع سعدون صوت بائع العلكة وقد استدار مبتعدا :

ـ انت ابله يا سعدون ... الف ابله ..

لا بأس .. ليقل عنه ما يشاء .. لا يهمه ان يجيب محمود حتى ولا ان يبيع اوراق اليانصيب التي بين يديه . حزنه ذلك المساء كان اكبر منه ... اكبر من ساحة البرج ، حتى اكبر من بيروت ، كل بيروت . والوقت هذا الظل الثقيل يضاعف المه تتباطئه ، كان للزمن رجلين اقصر من رجليه هو المقصوصتين فوق الركبة تماما . في كل يوم في مثل هذا الوقت كان ينتظر سيارة المرسيدس السوداء .. ينتظر وجه ابي عبد يطل من وراء المقود .

ـ سعدون ... الله معك .

ـ مساء النور ، ابو عبد ..

وتمضي سيارة ابي عبد محملة بالركاب ثم تعود الساعة التاسعة وتتوقف هنا قرب الرصيف الذي تعود ان يقف عليه سعدون ليبيع اوراق اليانصيب .

ـ موفق ان شاءالله ؟؟

وقبل ان يجيب سعدون يكون ابو عبد قد نزل من سيارته الى الرصيف ينحني عليه حتى تكاد انفاسهما ان تختلط بينما تندس كفاه بكل رفق تحت ابطي سعدون .

ـ تعلق برقبتي جيدا !!

ويمسكه سعدون من رقبته في حين يرفعه ابو عبد على مهل ويسير به حتى يصل باب السيارة الامامي ، وهناك ينزله اولا باول . يا الله تلك الدقائق التي كانت تتكرر كل مساء ، سوى مساء الامس ، تلك الدقائق المثقلة بالتعاسة والسعادة . لكم كان يخشى سعدون ان يتنبه المارة لرجل معلق برقبة رجل اخر . سيظنونه طفلا يحمله والده الى الرصيف الاخر فلا تدهسه السيارات ، ولكن ماذا لو امعنوا النظر ، سيجدونه رجلا ، بل نصف رجل ينتهي نصفه الاسفل فوق الركبتين ، فقط فوق الركبتين . لكم كان يتمنى في تلك الدقائق لو انه يمشي على عكازتين طويلتين مركزتين تحت ابطيه يلقيهما امامه دفعة واحدة ثم يتبعهما برجلين ضعيفتين او برجل واحدة في حين تكون الاخرى ملفوفة بالبنطلون او بقطعة قماش ، بل تمنى ان يكون قطعة كبيرة من اللحم البشري ملقاة على كرسي له عجلات . ولكن من يجره حينذاك؟ وحتى ابو عبد لن يكون بوسعه ان يساعده كثيرا . ان يعطف عليه بهذه الطريقة . هذه الدقائق كانت كثيرا ما تزدحم بالرغم من تعاستها ، بسعادة تغمر سعدون . سعادته بصداقة رجل ينحني عليه ، يحمله برفق ، يشده اليه حتى لا يصطدم بالمارة . وحتى شتائم السائقين التي تعيقهم السيارة المتوقفة ما كانت لتغضب ابا عبد . كان يتحملها بصبر ، حتى حين قال له سعدون ذات مساء وقد تراكم عدد السيارات خلف سيارته .

ـ ابو عبد .. هنا المكان مزدحم سانتظرك عند الكوع غدا ...

ـ لا تخط ولا خطوة ... سيتعبك المشي ...

ياالله لماذا لم يحدث هذا بالامس ؟ لماذا لم يات ابو عبد مساء امس ؟ لماذا يتغير عليه بعد سنة ، سنة في الصداقة ابتدأت ذلك الصباح الذي التقطه فيه ابو عبد من على رصيف حيهم :

ـ يا سعدون اليوم تصبحت بوجهك . ورزقت بصبي ... اتعلم ؟ انا عندي ثلاث بنات !!

ومنذ ذلك الحين وابو عبد يظن ان رزقته لا تاتي الا برؤية سعدون وحمله الى بيته في المساء . وسعدون سيارة المرسيدس اصبحت جزءا من مساءاته بل من حياته كل حياته ، ولقاء جسده بجسد ابي عبد اثناء رفعه كان كل الحنان الذي يلقاه من البشر .

« يا رب تبعت سيارة المرسيدس ... تبعت ابو عبد يا الله » قالها سعدون وعيناه تفرقان الشارع تفتيشا عن السيارة السوداء .

لماذا لم يات ابو عبد ؟ ايمكن ان ينساه ، والسيارة السوداء ايمكن ان تنساك يا سعدون ؟ المقعد الامامي ، المسند المثبت على الباب ، صورة العذراء ، الصليب المدلى ، وصور اولاد ابي عبد فوق المقود . كل هذه الاجزاء يعرفها سعدون غيبا . اتراها لم تشتك لك مساء امس يا سعدون ؟ الم تفتقدك ؟ لماذا لم تعرج عليك ؟

وفكر بائع اليانصيب . ماذا لو اصبحت الساعة التاسعة ولم يات ابو عبد ؟ هذا يعني انه لن ياتي ، لن ياتي بعد اليوم ابدا . وسيصدق ما قاله محمود مساء امس :

ـ دراهمه ستشغله عنك ... سينساك ...

ـ اسكت يا محمود ... انا اعرفه اكثر منك ..

ـ الذنب ذنبك يا سعدون .. لو لم تبعه تلك الورقة ..

يذكر سعدون ... منذ اسبوع ، اسبوع فقط ، قال لابي عبد وقد اقتربا من الحي :

ـ ابو عبد ... لم تجرب حظك ولا مرة ... ما رايك بورقة؟؟

وضحك ابو عبد حينذاك . ولكنه هو كان جادا . يذكر كيف انتقى له ورقة من بين اوراقه . رقمها امام عينيه : ٨٣٧٢ . ويذكر كيف وضعها في جيب ابي عبد :

ـ خذ من الصندوق اربع ليرات .

ـ ولو يا ابو عبد ... علينا هذه المرة ...

في تلك الليلة صلى من اعماق قلبه . طلب من الله ان يربح ابو عبد الجائزة الكبرى ، بل اي جائزة ، الف الفان ، عشرة ، وفي كل ليلة من ذلك اليوم وهو يكرر نفس الصلاة :

« يا رب لوتفي ابا عبد عني !! والله استجاب صلاته يوم السبت

اعتذار

صديقتي
يا رفة العبير
يا لمسة الحرير
يا ضحكة منغومة تثير
وتفرش الدروب عند خطوك المؤله الغرير
بالف قلب .. عاشق .. أسير
والف عبد .. خاضع .. صغير

*

صديقتي ..
سمعت لحني الاخير
رأيت ثوبا ناصل الالوان
مثلما يلوح الافق للضرير
كعود قمح ذابل على يد الهجير
عرفت أنني فقير
ووالدي .. مسخر .. أجير
وانني أعيش في التباع
وفي ضياع

*

لكن رأيتني أسير
لا ينحني راسي الى صغير او كبير
واسحق الاشواك في اعتدادي المثير
وبسمة طفلية تحتل ثغري الوديع
ولحني المغسول بالدماء
وبالدموع
لا يعرف الخنوع

*

ومثلما في قصرك العتيد
عرفت كل شيء .. سلعة ..
تباع .. تشرى .. بالنقود
وبالوعود
راهنت حفنة من العبيد
وجئت لي
بخطوك الرشيق
وثوبك الانيق
وكبريائك العتيق
تغريني بان اكون
لا تابعا ـ زعمت ـ بل صديق،
فخلف هذي السحنة الطفلية الوضيئه
والنظرة الساذجة البريئه
أشياء ـ يا عزيزتي ـ جريئة .. جريئه

*

لم تبق غير ليلة أو ليلتين
أغربل الفراغ فيهما
وانشق الضياع
واحضن الخواطر الحزينه
وارتوي من محنتي اللعينة
وبعد ليلة او ليلتين
ستفتقدينني هناك
على مشارف المدينه
في ربوة .. مهتاجة .. طعينة
مع الجموع الحرة المجنونه
تفجر النور الذي لا تعرفينه
وتزف الضياء من جراحنا الثخينه
فجرا .. ستعبدينني ، وتعبدينه

القاهرة : انس داود

القائـت . « الورقة ذات الرقم ٨٣٧٢ . تربـح الجائزة الكبـرى وقيمتها خمسـون الف لـيرة » .

« سعـدون انـت بركـة بيتي ... انـت سبب رزقتي » هكذا قال له ابو عبـد وهو يغمره ويقبله . وحينئذ شعـر سعدون بسعادة كبـرى . شعـر وكانـه يطـير فرحا . وكان رجليه عادتا اليه قويتين طويلتين ، واما الان ما اقصر رجليه ! انهما اقصر مما كانتا ، اعـلى بكثير من الركبتين . وهو كله ما اقصره ما اصغـره بين البشـر ، البشر الاقوياء ذوي الارجل المرنة القوية . لكم يود ان يقطعها كلهـا من هنـا مـن فوق الركبة ، ثم يكومها في ساحة البرج ويضحك عليها منتقمـا لرجليـه المقطوعتـين مـن زمان . وسيمر به البشر ، كلهم اقزام ، كلهم اقصر منـه وسيسخـر منهم ولـن يبيعهم اوراق اليانصيب بل سيكومها في يديه ، سيكدس حظوظ الناس ، عشرات الالوف يجمعها في اوراق اليانصيـب ثم يمزقها ، يحرق بها الارجل المقطوعة والمكومة على ساحة البرج . وسيارات المرسيدس ، كل سيارات المرسيدس السوداء سيحطم زجاجها ويحرقها كلها ذات مساء وعند الساعة التاسعة تمامـا . وسيصرخ السائقون ، يولولون ، ويضحك سعدون لفكرة احراق ابـي عبد . وصور اولاده والمقود والمقعد الامامي .. مقعده هـو ... ولكـن يـا الله مـاذا يرى من بعيـد ، هذا الاسودالمقترب ، يكبر شيئا فشيئـا ، انها خشـة المرسيدس ... نفس الزمور ... بل نفـس السيارة .... ما اكبـر حظك يا سعدون !. سامحه يا الله سامحه . لكم يحبك سعدون ويحب البشر كل البشر ، لا لن يقطع ... لن يحرق .. ها هي حبيبته تقترب ، تتوقف قليلا ، ويطل منها رأس السائق ... ولكن ابا عبد .. اين ابو عبد ؟؟

ـ سعدون ... يا سعدون
ـ هه .. مصطفى .. اين ابو عبد ؟؟
بعتني لاخبرك الا تنتظره ..
ـ هـه ...
ـ الا تنتظره ؟
ـ هـه ...
ـ الا تنتظـره ... باعني السيارة ...
ـ هه .. هه ..

عايـده سلمان